ثم دخلت سنة تسع وثلاثين وثلثمائة

ذكر موت الصَّيمري ووزارة المهلّبي

في هذه السنة، توفي أبو جعفر محمد بن أحمد الصَّيمري ،وزير معزّ الدولة بأعمال الجامدة، وكان قد عاد من فارس إليها، وأقام يحاصر عمران بن شاهين، فأخذته حمى حادة مات منها، واستوزر معزُّ الدولة أبا محمد الحسن بن محمد المهلّبي في جمادى الأولى، وكان يخلّف الصَّيمري بحضرة معزّ الدولة، فعرف أحوال الدولة والدواوين، فامتحنه معز الدولة، فرأى فيه ما يريده من الأمانة، والكفاية، والمعرفة بمصالح الدولة، وحسن السيرة فاستوزره ومكّنه من وزارته، فأحسن السيرة وأزال كثيراً من المظالم خصوصاً بالبصرة، فإن البريديين كانوا قد أظهروا فيها كثيراً من المظالم، فأزالها وقرب أهل العلم والأدب، وأحسن إليهم، وتنقّل في البلاد لكشف ما فيها من المظالم، وتخليص الأموال، فحسن أثره، رحمه الله تعالى[1].

ذكر غزو سيف الدولة بلاد الروم

في هذه السنة، دخل سيف الدولة بن حمدان إلى بلاد الروم، فغزا، وأوغل فيها، وفتح حصوناً كثيرة، وسبى وغنم، فلما أراد الخروج من بلد الروم أخذوا عليه المضايق، فهلك من كان معه من المسلمين أسراً وقتلاً، واسترد الروم الغنائم والسبي وغنموا أثقال المسلمين وأموالهم، ونجا سيف الدولة في عدد يسير[2]/ .

ج٦
ط/٣٣٤

---

(١) ذكره الطبري في «تاريخه» (١١/ ٣٧١)، وذكره الذهبي في «تاريخ الإسلام» (حوادث سنة: ٣٣١ـ ٣٥٠ هـ) (٤٤، ٤٥)، وذكره أبو الفداء في «المختصر في أخبار البشر» (٢/ ٩٨) مختصراً، وذكره ابن الوردي في «تاريخه» (١/ ٢٧٤) مختصراً، وذكره ابن خلدون في «تاريخه» (٣/ ٥١٧)، وذكره ابن كثير في «البداية والنهاية» (١١/ ٢٦٥)، وذكره ابن مسكويه في «تجارب الأمم» (٢/ ١٢٣، ١٢٤) و (٢/ ١٢٨).

(٢) ذكره الطبري في «تاريخه» (١١/ ٣٧٢)، وذكره ابن مسكويه في «تجارب الأمم» (٢/ ١٢٥، ١٢٦)، وذكره العظيمي في «تاريخ حلب» (٢٩٣، ٢٩٤)، وذكره اليافعي في «مرآة الجنان» (٢/ ٣٢٨)، وذكره ابن الجوزي في «المنتظم» =

ذكر إعادة القرامطة الحجر الأسود

في هذه السنة، أعاد القرامطة الحجر الأسود إلى مكة، وقالوا: أخذناه بأمر وأعدناه بأمر، وكان بجكم قد بذل لهم في ردّه خمسين ألف دينار، فلم يجيبوه وردّوه الآن بغير شيء في ذي القعدة، فلما أرادوا ردّه حملوه إلى الكوفة، وعلقوه بجامعها، حتى رآه الناس، ثم حملوه إلى مكة، وكانوا أخذوه من ركن البيت الحرام سنة سبع عشرة وثلثمائة، وكان مكثه عندهم اثنتين وعشرين سنة[1].

ذكر مسير الخراسانيين إلى الري

في هذه السنة، سار منصور بن قراتكين من نيسابور إلى الرَّي في صفر، أمره الأمير نوح بذلك، وكان ركن الدولة ببلاد فارس على ما ذكرناه، فوصل منصور إلى الري، وبها علي بن كامة خليفة ركن الدولة، فسار علي عنها إلى أصبهان، ودخل منصور الري، واستولى عليها، وفرق العساكر في البلاد، فملكوا بلاد الجبل إلى قرميسين، وأزالوا عنها نواب ركن الدولة، واستولوا على همذان، وغيرها، فبلغ الخبر إلى ركن الدولة ـ وهو بفارس ـ فكتب إلى أخيه معزّ الدولة يأمره بإنفاذ عسكر يدفع تلك العساكر، عن النواحي المجاورة للعراق، فسير سُبكتكين الحاجب في عسكر ضخم من الأتراك، والديلم، والعرب، فلما سار سبكتكين عن بغداد خلف أثقاله. وأسرى جريدة إلى من بقرميسين من الخراسانيين، فكبسهم، وهم غارون فقتل فيهم وأسر مقدمهم من الحمام واسمه: بجكم الخمارتكيني، فأنفذه مع الأسرى إلى معزّ الدولة، فحبسه مدة ثم أطلقه.

فلما بلغ الخراسانية ذلك اجتمعوا إلى همذان، فسار سُبكتكين نحوهم، ففارقوا

= (١٤/ ٨٠)، وذكره الذهبي في «تاريخ الإسلام» (حوادث سنة: ٣٣١ـ ٣٥٠ هـ) (٤٣ـ ٤٥)، وذكره ابن الوردي في «تاريخه» (١/ ٢٧٤)، وذكره أبو الفداء في «المختصر في أخبار البشر» (٢/ ٩٨)، وذكره ابن كثير في «البداية والنهاية» (١١/ ٢٦٥).

(١) ذكره الطبري في «تاريخه» (١١/ ٣٧١)، وذكره ابن الجوزي في «المنتظم» (١٤/ ٨٠)، وذكره ابن الوردي في «تاريخه» (١/ ٢٧٤)، وذكره أبو الفداء في «المختصر في أخبار البشر» (٢/ ٩٨)، وذكره الذهبي في «تاريخ الإسلام» (حوادث سنة: ٣٣١ـ ٣٥٠ هـ) (٤٣، ٤٤)، وذكره ابن كثير في «البداية والنهاية» (١١/ ٢٦٥)، وذكره ابن مسكويه في «تجارب الأمم» (٢/ ١٢٦، ١٢٧)، وذكره العظيمي في «تاريخ حلب» (٢٩٤)، وذكره اليافعي في «مرآة الجنان» (٢/ ٣٢٨)، وذكره النويري في «نهاية الأرب» (٢٣/ ١٨٩)، وذكره ابن عذاري في «البيان المغرب» (١/ ٢٢٠).

همذان ولم يحاربوه، ودخل سُبكتكين همذان، وأقام بها إلى أن ورد عليه ركن الدولة، في شوال.

وسار منصور من الري في العساكر نحو همذان، وبها ركن الدولة، فلما بقي بينهما مقدار عشرين فرسخاً عدل منصور إلى أصبهان، ولو قصد همذان لانحاز ركن الدولة عنه، وكان ملك البلاد بسبب اختلاف، كان في عسكر ركن الدولة، ولكنه عدل عنه لأمر يريده الله تعالى.

وتقدم ركن الدولة إلى سُبكتكين بالمسير في مقدمته، فلما أراد المسير شغب عليه بعض الأتراك مرة بعد أخرى، فقال ركن الدولة: هؤلاء أعداؤنا، ومعنا، والرأي أن نبدأ بهم، فواقعهم واقتتلوا فانهزم الأتراك. وبلغ الخبر إلى معزّ الدولة، فكتب إلى ابن أبي الشوك الكردي، وغيره يأمرهم بطلبهم، والإيقاع بهم، فطلبوهم وأسروا منهم وقتلوا، ومضى من سلم منهم إلى الموصل.

وسار ركن الدولة نحو أصبهان، ووصل ابن قراتكين إلى أصبهان، فانتقل من كان بها من أصحاب ركن الدولة وأهله وأسبابه، وركبوا الصعب والذَّلول، حتى البقر والحمير، وبلغ كراء الثور والحمار إلى خان لنجان مائة درهم، وهي على تسعة فراسخ من أصبهان، فلم يمكنهم مجاوزة ذلك الموضع، ولو سار إليهم منصور لغنمهم، وأخذ ما معهم، وملك ما وراءهم إلا أنه دخل أصبهان، وأقام بها، ووصل ركن الدولة، فنزل بخان لنجان، وجرت بينهما حروب عدة أيام، وضاقت/ الميرة على الطائفتين. ج٦/٣٣٥/ط

وبلغ بهم الأمر إلى أن ذبحوا دوابهم، ولو أمكن ركن الدولة الانهزام لفعل، ولكنه تعذر عليه ذلك، واستشار وزيره أبا الفضل بن العميد في بعض الليالي في الهرب، فقال له: لا ملجأ لك إلا الله تعالى فَانْوِ للمسلمين خيراً، وصمم العزم على حسن السيرة، والإحسان إليهم، فإن الحيل البشرية كلها تقطعت بنا، وإن انهزمنا تبعونا، وأهلكونا وهم أكثر منا فلا يفلت منا أحد، فقال له: قد سبقتك إلى هذا، فلما كان الثلث الأخير من الليل أتاهم الخبر: أنّ منصور أو عسكره قد عادوا إلى الري، وتركوا خيامهم.

وكان سبب ذلك: أنّ الميرة والعلوفة ضاقت عليهم أيضاً إلا أنّ الديلم كانوا يصبرون ويقنعون بالقليل من الطعام، وإذا ذبحوا دابة أو جملاً اقتسمه الخلق الكثير منهم،

وكان الخراسانية بالضد منهم لا يصبرون، ولا يكفيهم القليل، فشغبوا على منصور، واختلفوا وعادوا إلى الري، فكان عودهم في المحرم سنة أربعين.

فأتى الخبر ركن الدولة، فلم يصدقه، حتى تواتر عنده، فركب هو وعسكره، واحتوى على ما خلفه الخراسانية، حكى أبو الفضل بن العميد، قال: استدعاني ركن الدولة تلك الليلة الثلث الأخير، وقال لي: قد رأيت الساعة في منامي كأني على دابتي فيروز، وقد انهزم عدونا. وأنت تسير إلى جانبي وقد جاءنا الفرج من حيث لا نحتسب فمددت عيني، فرأيت على الأرض خاتماً، فأخذته فإذا فصّه من فيروزج، فجعلته في إصبعي، وتبركّت به، وانتبهت وقد أيقنت بالظفر، فإنّ الفيروزج، معناه: الظفر، ولذلك لقب الدابة: فيروز، قال ابن العميد: فأتانا الخبر والبشارة بأنّ العدو قد رحل فما صدقنا، حتى توارت الأخبار، فركبنا. ولا نعرف سبب هربهم وسرنا حذرين من كمين، وسرت إلى جانب ركن الدولة ـ وهو على فرسه فيروز ـ فصاح ركن الدولة بغلام بين يديه ناولني ذلك الخاتم فأخذ خاتماً من الأرض، فناوله إياه، فإذا هو فيروزج، فجعله في إصبعه، وقال: هذا تأويل رؤياي، وهذا الخاتم الذي رأيت منذ ساعة، وهذا من أحسن ما يُحكى، وأعجبه.

ذكر أخبار عمران بن شاهين وانهزام عساكر معزّ الدولة

وقد ذكرنا حال عمران بن شاهين بعد الصَّيمري عنه، وأنه زاد قوة وجراءة، فأنفذ معزّ الدولة إلى قتاله روزبهان ـ وهو: من أعيان عسكره ـ فنازله وقاتله فطاوله عمران وتحصن منه في مضايق البطيحة، فضجر روزبهان وأقدم عليه طالباً للمناجزة، فاستظهر عليه عمران، وهزمه وأصحابه، وقتل منهم وغنم جميع ما معهم من السلاح وآلات الحرب، فقوي بها وتضاعفت قوته، فطمع أصحابه في السلطان، فصاروا إذا اجتاز بهم أحد من أصحاب السلطان يطلبون منه البذرقة والخفارة، فإن أعطاهم، وإلا ضربوه، واستخفوا به وشتموه.

وكان الجند لا بد لهم من العبور عليهم إلى ضياعهم ومعايشهم بالبصرة وغيرها، ثم انقطع الطريق إلى البصرة إلا على الظهر، فشكا الناس ذلك إلى معز الدولة، فكتب إلى المهلّبي بالمسير إلى واسط لهذا السبب، وكان بالبصرة، فأصعد إليها، وأمدّه معز

الدولة بالقوّاد والأجناد والسلاح، وأطلق يده في الإنفاق، فزحف إلى البطيحة، وضيّق على عمران، وسد المذاهب عليه، فانتهى إلى المضايق لا يعرفها إلا عمران وأصحابه، وأحب روزبهان أن يصيب المهلّبي بما أصابه من الهزيمة، ولا يستبد بالظفر، والفتح، وأشار على المهلّبي بالهجوم على عمران فلم يقبل منه، فكتب إلى معز الدولة يعجز المهلّبي، ويقول: إنه يطاول لينفق الأموال، ويفعل ما يريد فكتب معزُّ الدولة بالعتب والاستبطاء، فترك المهلّبي الحزم/ وما كان يريد أن يفعله ودخل بجميع عسكره، وهجم على مكان عمران. ج٦/٣٣٦/ط

وكان قد جعل الكمناء في تلك المضايق وتأخر روزبهان، ليسلّم عند الهزيمة، فلما تقدم المهلّبي خرج عليه، وعلى أصحابه الكمناء، ووضعوا فيهم السلاح فقتلوا وغرقوا وأسروا، وانصرف روزبهان سالماً هو وأصحابه، وألقى المهلّبي نفسه في الماء فنجا سباحة، وأسر عمران القواد والأكابر، فاضطر معزُّ الدولة إلى مصالحته، وإطلاق من عنده من أهل عمران وإخوته، فأطلق عمران من في أسره من أصحاب معزّ الدولة، وقلّده معزُّ الدولة البطائح، فقوي، واستفحل أمره[1].

ذكر عدة حوادث

في هذه السنة، ليلة يوم السبت رابع عشر ذي الحجة، طلع القمر منكسفاً، وانكسف جميعه.

الوفيات

وفيها، في المحرم: توفي أبو بكر محمد بن أحمد بن قرابة بالموصل، وحمل تابوته إلى بغداد.

وفيها، توفي أبو نصر محمد بن محمد الفارابي الحكيم الفيلسوف، صاحب

(١) ذكره ابن كثير في «البداية والنهاية» (١١/ ٢٦٥)، وذكره ابن مسكويه في «تجارب الأمم» (٢/ ١٢٤) و(١٢٧-١٢٩)، وذكره ابن خلدون في «تاريخه» (٣/ ٥١٦، ٥١٧).

التصانيف فيها وكان موته بدمشق، وكان تلميذ بن يوحنا بن حيلان، وكانت وفاة يوحنا أيام المقتدر بالله[١].

وفيها: أمات أبو القاسم عبد الرحمٰن بن إسحاق الزجاجي النحوي، وقيل: سنة أربعين[٢]/ . ج٦/٣٣٧/ط

(١) انظر: «البداية والنهاية» (١١/ ٢٦٦)، «تاريخ الإسلام» (حوادث سنة: ٣٣١ـ ٣٥٠ هـ) (١٨١ ـ ١٨٣)، «تاريخ ابن الوردي» (١/ ٢٧٤، ٢٧٥)، «المختصر في أخبار البشر» (٢/ ٩٩)، «مرآة الجنان» (٢/ ٣٢٨ ـ ٣٣١).

(٢) انظر: «البداية والنهاية» (١١/ ٢٦٨)، «تاريخ الإسلام» (حوادث سنة: ٣٣١ ـ ٣٥٠ هـ) (١٩١)، «تاريخ ابن الوردي» (١/ ٢٧٥)، «سير أعلام النبلاء» (١٥/ ٤٧٥، ٤٧٦)، «المختصر في أخبار البشر» (٢/ ٩٩).

obeikandl.com